

صونيا: اهلا بكم في هذا الصالون الادبي المتواضع الذي نهج نهجا موفقا في جمع ما تشتت وتقريب ما تباعد. انه صالون متواضع غايته زرع القلق المعرفي في وجدانكم ليجري هذا القلق في عروقكم مجرى الدم في العروق. انه السعي الدؤوب للتفتيش عن الحقيقة والالتحام بها والتناغم مع قوانينها في الطبيعة وفي العقل. ليثمر هذا التناغم طمأنينة واسترخاء وسعادة لم تخطر على بال انسي من قبل. فتصبح النفس المطمئنة راضية مرضية وتحل في الآب ويحل الآب فيها هناك الروح والريحان وجنات النعيم.

حسام: مصيبة الشرقيين ان عيونهم تنظر الى النجوم واقدامهم تغوص في الوحول. يا سيدتي نحن شعوب مسكينة كلما ازدادت حركة كلما ازدادت انتكاسا وارتكاسا وغرقا في تخلف حطم كل مقاييس الحدود الدنيا للتخلف. فالنمو الاقتصادي معدوم والنمو السكاني متفجر والفكر المنهجي معدوم والفكر الغيبي يصل ويحول ومنطق العقل بضاعة نادرة وحدث ولا حرج عن تحضير الارواح والتبصير والتنجيم. اخاف يا سيدتي وانا في قلب الحقيقة والحقيقة في قلبي. ان نصاب بمرض انفصام الشخصية فتغدو احلامنا في عالم وواقعنا في عالم آخر. نتجادل في العدالة، والمواطن عندنا مذنب حتى يثبت العكس. وكافر حتى يثبت العكس وعميل حتى يثبت العكس.

ليلي: الانسان السوداوي المزاج يدفعني قسرا الى التقوى. اشعر بالغثيان وانا اسمع كلامه واظن ان هذا المزاج الرديء ثقافة سلفية ورثناها من عادة الوقوف على الاطلال.

سليمان: القصة ليست مزاجا سوداويا بل نقدا يثير غرائز الخوف والتشاؤم والاحباط ولا يكلم العقل بلغة تتسم بالوضوح والتسلسل المنطقي.

صونيا: ما قاله حسام بضع حقائق من ملف كبير استحقاقه بدأ يقرع الابواب كلنا يعرف ان الدولة الحديثة تحتاج الى دورة اقتصادية متكاملة ومنهج سياسي ديمقراطي وانتماء قومي وانساني لا يصطدم بانتماءات الاخرين وتطويرا للافراد

باتجاه مزيد من المعرفة ومزيد من العمل والانتاج، ملف كبير من الاصلاح ولكن من اين نبدأ؟

حسام: انا اعرف من اين نبدأ معرفة يقينة لا يعتورها باطل من امامها او من ورائها.

سليمان: دعونا قبل ان ننطلق من حقائق مقررة سلفا لها صفة البديهيات نلقي على انفسنا بعض الاسئلة وعلى ضوء الاجابة نقرر.

حسام: لا مانع عندي سل وانا اجيب

سليمان: لو سألنا ما هي غاية هذا الوجود وما هو الجوهر الذي يقوم به.

حسام: غاية الوجود برأيي هي الانسان. فكرت كثيرا في هذا الموضوع ووجدت ان الكون بدون الانسان سدى لا طائل ورائه وجود عبثي لا معنى له.

ليلي: ولماذا لا يكون الوجود عبثيا وسدى او بكلام آخر لماذا نحشر الوجود في قوالب لم توجد اصلا مثل قالب ما معناه وما فائدته الوجود موجود وكفى لا اكثر ولا اقل.

حسام: ولكننا ننظر الى كل شيء موجود في هذا الوجود فنرى قوانين تحكمه فتضبط ظواهر نموه وانحلاله وحركته وما يسفر عنها. انه وجود منظم مبرمج وهناك دقة متناهية في تنظيمه وبرمجته. ومنطق العقل يقول لنا الصدفة فوضى وعبث لا نظاما دقيقا في توازنه وتناغمه وعلاقة اجزائه ببعضها.

سليمان: بل بكلام ادق لا يمكن للصدفة العمياء الفوضوية المتنافرة باجزائها ان تثمر نظاما عقليا متكاملا وشموليا.

صونيا: ماذا تقصد بنظام عقلائي متكامل وشمولي؟

سليمان: قبل ان احدد قصدي تحديدا منطقيا سأضرب لك امثلة. اذا قلنا ان طبائع الافلاك اربعة هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وان هذه الطبائع التي يغذيها الهولي اصل الوجود المادي وعلته نظمت عالم المادة تنظيما متوازنا متناسقا

فلكل ثلاثة ابراج من الابراج الاثني عشر طبعا، فبرج الحمل والاسد والقوس في طبع النار مردهم الى جوهر واحد، والثور والسنبله والجدي في طبع التراب والجوزاء والميزان والدلو في طبع الهواء، والسرطان والعقرب والحوت في طبع الماء.

ليلي: كلامك يشبه كلام المنجمين في العصور الوسطى فإلى اين تريد ان تصل؟

سليمان: اريد ان اقول ان هذه الطبائع الاربعه التي تحكم الافلاك هي نفسها التي تحكم جسم الانسان عبر الدم والصفراء والسوداء والبلغم وهي نفسها التي تحكم الفصول فالربيع في طبع الدم والصيف في طبع الصفراء والخريف في طبع السوداء والشتاء في طبع البلغم. حتى اني اقول بكلام اوضح اننا اذا اردنا ان نحكي قانون الطبيعة ونظامها الشمولي الدقيق في معاملة اجسادنا. علينا في كل فصل ان نأكل طعاما ونشرب شرابا يتناسب مع طبيعة الفصل فعلينا ان نوازن برودة الشتاء وبلغمه بالمأكولات اليابسة والمشروبات الحارة فدونكم واللحوم والمشروبات الروحية القوية. ونوازن حرارة دم الربيع بالمأكولات الباردة فدونكم والالبان والفاكهة والخضار وهكذا...

صونيا: طالما انك فتحت هذا الباب الصعب الولوج هلاًّ َََََ اظهرت لنا علاقة جسم الانسان في نموه وانحلاله بالكواكب السبع التي يقولون انها المسؤولة عن نمو الاجسام واضمحلالها وسعودها ونحوسها.

سليمان: حبا وكرامة. فالشمس والمريخ والمشتري في طبع النار وهي الحرارة واليوسه، و عطارد وزحل مع الزهرة في طبع الهواء وهو الحرارة والرطوبة والزهرة وزحل مع عطارد في طبع التراب وهو البرودة واليوسه والقمر والمشتري مع المريخ في طبع الماء وهو البرودة والرطوبة. والعقل الكلي ينظم علاقة هذه الطبائع ببعضها ويوازن فيما بينها بقوانين دقيقة تربط هذا الكون من اكبر مجراته الى اصغر خلية في جسم الانسان والحيوان والنبات.

ليلي: لا زلت اصر على ان هذا الكلام اقرب الى كلام المنجمين والمبصرين منه الى لغة العلم والمنطق.

سليمان:حنانيك يا أنستي الا تعتقدين ان الشيء كلما زاد اعتدالا كلما اصبح اكثر عدلا وجمالا.

ليلي:هذا بديهية منطقية ولكن ما علاقة الاعتدال والعدل بالطبائع الاربعة والافلاك والكواكب.

سليمان:الا يتركب جسم الانسان من الطبائع الاربعة؟

ليلي:انت تقول ذلك وانت الملزم بالتوضيح.

سليمان:اليس التنفس بمنزلة الهواء والحرارة الدماغية والغريزية بمنزلة النار والسوائل واللحم بمنزلة الماء والتراب والعظام بمنزلة التراب المتصخر فاذا كان الكلام منطقيا فالقيمة لمعادلة العقل الكلي التي تحكم هذه العناصر ومع اختلال المعادلة ينهدم نظام الجسد ويضمحل.

صونيا:هذا الكلام صحيح ودقيق شرط الا يغفل عن باننا ان العقل الكلي ينظم كل العوالم وليس فقط عالم الانسان.

حسام:بعد كل جلسة معكم اقول لنفسي حرام علي معاشرة هؤلاء الناس السمحاء الثقيلي الظل الذين لا هم لهم الا ازعاج الاخرين بالكلام الفارغ،ثم اعود لاتراجع وامني النفس بلعل وعسى.ايها الناس المثقفون البسوا ثياب عصركم وتكلموا بلغته حدثونا عن آخر المبتكرات التي تعيد صدر المترهل شامخا متوثبا يناطح القميص اذا كان ثمة قميص ويصارع طواحين الهواء على شواطئ نيس وفارنا وجزر الكناري على طريقة دونكي شوت.حدثونا عن المؤخرات التي تتدور وتتكور بسحر العقاقير البرازيلية.

ليلي:يسميك الاغبياء شاعر وانا لا اراك الا مهلوسا تختزن في عقلك الباطني لاوعي الجماعة الذي انتجته عصور طويلة من الظلم والحرمان والكبت وعبادة الطقوس والاشخاص.

صونيا: حسام من اكثر الناس ظرفا واشدهم تهديبا وخفة ظل فانا اعرفه منذ زمن طويل وهو حساس مفرط في ولائه لمجتمعه وبيئته حتى انه من فرط حبه وولائه اصيب بالاحباط.

سليمان: وانا اعرفه ثوريا يناضل بالكلمة فكم الهبت قصائده القومية مشاعر الشباب وكم اثاره من الهمم والعزائم. ولكننا في الواقع نعيش زمنا رديئا كلما سعى فيه الاحرار للاصلاح وناضلوا من اجل العدالة والديمقراطية والحرية كلما وجدوا انفسهم يغرقون زيادة في وحول الانتهازية والاصولية والعسكريتارية ومزيد من التشرذم على الصعيد القومي والوطني والمناطقي وحتى العائلة والاسرة.

ليلي: هذا لا يغير من الحقيقة في شيء فحسام اما مهووس يحتاج الى مصحح واما منفصم الشخصية لانه ابتداء يشارك في المحاوره بجديّة ومنطقية ثم انحرف فجأة فقطع تواصل الحوار. انا شخصا لست ضد لغة العصر التي تحدث عنها حسام بل ضد هذه الجمل الاعتراضية التي تقحم الحوار كما كان اشعب يقترح الولايم.

حسام: المهم اني نجحت في اخراجكم من سماجة الكلام عن الكواكب والأبراج والعناصر والاستقصات. وتتهموني بانني قطعت تواصل الحوار وانتم فعلتم ذلك، لقد قلت سابقا ان الانسان هو جوهر الوجود وسدرة منتهاه وان هذا الوجود وجود غائي يقف وراء تنظيمه عقل كلي يعطي لكل حقيقة اسبابها ويجعلها تسعى باتجاه كمالها. وبدأنا نتحاور في هذه الفكرة فاذا بنا نصل الى استقصات القرون الوسطى وابراج بابل وكواكب اخوان الصفاء.

سليمان: نحن لم ننحرف بالحوار ولكننا سقنا الامثلة لنعمق الموضوع.

صونيا: دعونا الان نعود الى الانسان الذي عرفنا جميعا بانه جوهر هذا الوجود ولكننا لم نعرف ما هو جوهر هذا الانسان.

حسام: جوهره الحرية ولا شيء الا الحرية.

ليلي: بل جوهره الرفض، القدرة على الرفض والتحدي.

سليمان:الرفض ليس الا حرية اختيار عكس ما هو قائم وهذا ليس الا تفسيراً لمعنى الحرية.

حسام:الرفض قد يكون ردة فعل غير عاقلة على الامر القائم بسببها عقد نفسية وعواطف دينية وعرقية لا تستند الى حقائق عقلانية.

سليمان:هذا صحيح فالحرية والعقل وجهان لحقيقة واحدة لان الحرية بجوهرها رفض ما هو غير عقلائي وغير منسجم مع ما فطرت عليه النفس الانسانية من الحقائق البديهية ورفض ما يتناقض مع الطبيعة البشرية.

صونيا:لقد ازدت الموضوع غموضاً يا صديقنا سليمان هلا شرحت لنا وفسرت.

ليلي:الحرية هي اختيار ما هو عقلائي ومنسجم مع طبيعة النفس الانسانية كلام جميل في ظاهره مشكوك بصحته حتى اكاد اجزم بانه ليس اكثر من عملية تجميل لواقع نعتبره بمنطق العقل باطلاً.

حسام:لا يوجد اجمل من صبية حسناء تجادل بحماس وتجاوز بانفعال.. عيناها تبرقان.. صدرها يعلو ويهبط والاثداء تريد ان تنفجر غضبا كبركان ملّ فترة ركوده.. الشفاه ترتعش.. خصلة من الشعر تتأرجح فوق الجبين.. يا الهي كم تغريني هكذا صبية.. يستيقظ نار شبابي وينفض رماد الكهولة.. احس اني اولدت نفسي من نفسي كما تولد الشمس من احمرار غروبها في صيف القطب الشمالي.. اشكرك يا أنستي عارضي وجادلي وانفعلي وافعلي واتركي الاموات الذين يرتدون قبعات العقل ان يدفنوا موتاهم.

ليلي:خفقان صدري لا يزعجني يا صديقي حسام ولا حتى تفجره وتطاييره شظايا، ولكن ما يزعجني هو انك حشاش بغير افيون وماريوانا. انت تمارس التحشيش الفكري والخيالي وتحلم بعالم له الوان قوس قزح بالوقت الذي تكون فيه عاجزا عن حل مشكلة ايجاد موقف لسيارتك لا يزعج الاخرين او مكب لنفاياتك لا يزعج الاخرين.

صونيا:التحشيش الفكري والخيالي عنوان كبير لهذا الشرق العتيق.

سليمان: لا شك ان هناك فرقا شاسعا بين الخيال الذي هو اقرب طريق الى الحقيقة وبين التحشيش الفكري كالفرق بين الموجب والسالب بين البناء والهدم ولو اردنا انصاف الحقيقة لقنا كالفرق بين طبائع العقل التي تنظم وتوازن وتجعل كل سبب يتبع سببه وبين طبائع الابليس التي يستهويها ان تشتت ما تجمع وتعبث بما تنظم وتهدم ما بني وتحول الانسان من كائن عقلائي جميل خير عادل شفاف مشع الى كائن سوداوي يصنع اعماله في الظلمة فعمته الظلم تستغويه وسادية الشر تسعده.. انه بايجاز ذلك الصراع المستمر بين النور والظلمة بين الجمال والقبح بين الحق والباطل. واهمية هذا الصراع تكمن في قدرتنا التامة على الاختيار والانحياز والسباحة عكس التيار، اي الحرية في التقرير، ولذلك نحن دائما مسؤولين لاننا نخلق اعمالنا خلقا.. نحن احفاد الالهة الذين دائما يمارسون لعبة الخلق والابداع.

ليلي: السؤال هو هل يختار العقل الانساني اعماله اختيارا حرا دون اكراه او اجبار ام ان الحواس والرغبات تفعل الفعل بناء على قوانين مادية جبرية مربوطة بكيمياء الدم، وآلية عمل الاعصاب ثم يأتي العقل في مرحلة لاحقة لتبرير ما قامت به الاعصاب واعطاء العمل بعدا اخلاقيا ومعنى عقلاويا هادفا وغائيا بصراحة انا اعتبر الانسان حيوانا يتصرف بناء على قانون جبري مكتوب على شيفرة اعصابه وفي جينات خلاياه الوراثية. ودور العقل دور متأخر يأتي فقط ليبرر ويؤطر العمل في اطار الغائية، والقصة في الواقع مختلفة تماما صدقوني القصة مختلفة تماما وانا مستعدة لضرب الامثلة.

حسام: احترمك ابنة بارة لامك عشتروت تسيرك الرغبات الراجعة فأينما تمشين ينبت العشب الاخضر وكيفما تبسمين تنفتح شقائق النعمان.. الشعراء يا سيدتي ليسوا الا مرايا تعكس نبض الرغبات في هذا التيار الحي الذي اسمه المرأة.

سليمان: اذكر كلاما قرأته عن فينيقي عاش قبل ثلاثين قرنا ونيف اسمه ماخوص يقول انه منذ البدء لم يكن هناك الا الهواء والظلمة ثم امتلأ الهواء بالرغبة فضاجع الظلمة واولد العناصر واحدا وراء الاخر، ثم اخذت العناصر تضاجع بعضها برغبة ابوها حتى اولدت الكائنات جميعا، والاب لا يعرف ماذا فعل ولا اولاده يعرفون. اي ان ماخوص مثل ليلي لا يؤمن بالغائية ولا بالعقل الكلي المنظم فكما البداية مجرد

صدفة انتجتها رغبة عمياء فكذلك النهاية قد تكون مجرد صدفة اخرى لرغبة اخرى  
عمياء وراعية .

صونيا: اذن كل ما يقال عن الاخلاق كلام لا معنى له؟

حسام: تحدثوا عن الرغبات ولا تتحدثوا عن الأخلاق.

سليمان: ولكن الرغبات متضاربة في نفس الإنسان الواحد ناهيك عن تضاربها بين  
افراد المجتمع الواحد وهذا يقود الى الهرج والمرج.

صونيا: لا بدّ من قواسم مشتركة والا لما استطاع انسان أن يتجانس أو يتواصل مع  
أي انسان آخر.

سليمان: نعود الى العقل ونتبناه دليلا يضيء لنا المسالك المعتمة ونسير على  
هدى نوره.

صونيا: وماذا يقول لك العقل عن الأخلاق!

سليمان: عقلي يقول لي أن الانسان يكون أخلاقيا اذا ما سعى لتحقيق الغاية التي وجد  
من أجلها.

ليلي: عدنا الى التبصير والتنجيم. ومن يعرف ما هي الغاية التي وجدنا من أجلها .

حسام: المقصود حتما الغاية التي وجد من أجلها الانسان كنوع وليس الانسان  
كفرد، رغم انه في الحقيقة لا تناقض، فالانسان كفرد عليه أن يحقق في ذاته غاية  
نوعه والنوع يحقق غاية وجوده وغاية كل الوجود.

سليمان: ألم نسمع أن الله خلق الانسان على صورته وجبل طينته بيديه.

ليلي: وما دخل هذا اللغو بما كنت تقول سابقا؟

سليمان: هذا يهديننا الى الغاية التي وجد من اجلها الانسان، أن يكون مشاركا لله في  
عملية الخلق والابداع.



حسام: الخلق والابداع غاية وجود الانسان هذه الحقيقة اعيشها بشعوري وألمسها في لهات كلمات قصائدي. فحركة الانسان ليست حركة ميكانيكية تكرر نفسها باستمرار بل حركة لولبية تصاعدية لمزيد من التطور والارتقاء. انها خلق عوالم جديدة برغبات جديدة وتصورات جديدة ومفاهيم جديدة .

سليمان: ولكن حذار القول أن عملية الخلق المستمرة تعني أن الحقيقة دائماً نسبية تتغير من زمان الى زمان ومن خالق الى خالق وبالتالي ليستنتج البعض أن لا وجود للحقيقة أبدا ولنعود مرة أخرى الى منطق السفسطة.

ليلي: هل نستطيع أن نقول أن الحقيقة هي ما يسهل حركة الانسان الى ممارسة الخلق والابداع؟

سليمان: احتمال جميل ولكنه غامض يمكن أن يحمل على غير محمله. لأن ما يسهل حركة الانسان في الواقع لممارسة عملية الخلق والابداع هو الطاعة والانقياد الحرّ لقوانين العقل. فالابداع ثمرة من ثمرات النشاط العقلي المتألق وانا أتصور الأمر أن الانسان اذا عطلّ عمل قوانين العقل في ذاته يكون قد ألغى ذاته . أنا أعقل نفسي وأعقل قوانين الطبيعة والمجتمع اذن أنا موجود. أنا أعيش في حالة غيبوبة عن ذاتي والطبيعة والمجتمع اذن أنا غير موجود. ولهذا الشعوب التي تضرب بقوانين العقل عرض الحائط شعوب تلغي وجودها وتنحسر مكانتها في موكب الحضارة وهي ابنة العدم وليست ابنة الحياة.

صونيا: هل تريد أن تقول أننا كأفراد وكشعوب بقدر ما نفترب من قوانين العقل نحقق وجودنا وبقدر ما نبعد عنها نلغي وجودنا؟

سليمان: هذا مؤكّد، ألا ترين كيف تهاجر الأدمغة من بلادنا لأننا عجزنا عن اعطائها أية فرصة لتمارس قدرتها على الخلق والابداع.

ليلي: كيف تريد الانسان أن يبدع وهو يعيش في مجتمع يعتبر وجه المرأة عورة ويصدر الفتاوى بذلك ويعتبر ضحكها وبكائها يحركان شهوات الرجال؟

حسام: ولماذا لا تتحرك شهوات الرجال؟

ومن قال ان شهوات الرجال مصادر شرّ وظلام وليست مصادر خير ونور أو من قال ان الشهوات حرام شيطاني وقمعها حلال رحماني... هذا الفرز كم هو فرز عجيب، فالرجل بدون شهوة رجل لا حافز لديه للعمل والانتاج والبناء والابداع... الشهوة التي لا تلغي حرية الآخر ولا تتطفل على خصوصيته ولا تفقده استقلالية شخصيته شهوة خيرة.. انها وقود العقل والخيال نحو الانطلاق لبناء المجتمع الفاضل للانسان الكامل.. يا الهي هذا الشرق كم هو شرق معتم، كم هو عتيق متعقن يثير القرف والاشمئزاز.

ليلي: ما زال هذا الرجل يهذي حتى قال كلاما مفيدا، احسنت يا صديقي فوضع الشهوات في خانة الممنوعات ومصادرتها باسم الاخلاق هو ذروة الدناءة والبذاءة والعمل اللا أخلاقي. وهنا اعود لأناقش موضوع مفهوم الاخلاق مرة اخرى.. عرفها سليمان بأنها سعي الانسان لتحقيق الغاية التي وجد من اجلها. وبرأيي التعريف رائع ولكن دعونا نقلبه على جميع جوانبه لنزداد فهما له واستيحاء منه.. اني استوحي من هذا التعريف اعادة النظر في الانسان ومحاولة رؤيته عن كثب.. اذا كان لكل فرد بصمات اصابع متميزة ولهات انفاس متميزة ونفس عاقلة متميزة. فمعنى ذلك ان الانسان الفرد كائن كامل متكامل حرّ مستقل لا يحق لنا ان نقزّمه فنجعل منه رقما في سجّل، او وسيلة رخيصة لخدمة اهداف وايديولوجيات ومصالح يكشف الزمن عوراتها وسرايباتها بعد حين وعندها نكون قد بادلنا الذهب بالتراب دونما فائدة.

سليمان: ما تقوله ليلي صحيح، فلكي يكون الانسان اخلاقيا يجب ان يكون حرّا.. حرية اختيار الشيء او ضده تعطي العمل بعدا اخلاقيا.. الفلسفات الجبرية برمتها الغت اخلاقية الانسان بل الغت عقله. الاخلاق هي الحرية والمسؤولية، والحرية هي اختيار ما هو صحيح في منطق العقل.. والعقل هو الذي يقيّم الذات والآخر والله والوجود فأبيّ تعدّد على عنصر من هذه العناصر هو تعدّد عليها جمعاء.

صونيا: هذا يعني ان فكرة القدر فكرة غير اخلاقية؟

سليمان: بل اقول لك ان الناس الذين يؤمنون بها هم اناس غير اخلاقيين.

حسام: ولكن كيف نفسر آلية العمل على ارض الواقع التي تجعل من بعض العباقرة شحاذين ومن بعض المتخلفين المنحرفين محتكري ثروات؟

سليمان: لكل شيء قوانينه الخاصة به فتنمية المال له قوانينه وفرص اقتناصه لها قوانينها واكثر العباقرة لا يعرفون هذه القوانين التي تسيّر تلك العوالم لانها خارج دائرة اهتماماتهم. ثم اني اريد ان اقول لك ان الانسان لا يمكن فهمه بسطحية وبساطة كما يحصل الان، فنحسب ماله وما عليه منذ ساعة ولادته وحتى ساعة وفاته في فترة زمنية قصيرة تكاد تكون مشابهة لجملة اعتراضية في نصّ ليس له نهاية.

صونيا: الام تلمح بكلامك هل تريد ان تقول ان الانسان وجد من البدء وسيبقى الى ما لا نهاية؟

ليلي: هذا الكلام قد ينطبق على الانسان كنوع وليس الانسان كفرد.

سليمان: بل اني اقول ان النفس الانسانية الفردية وجدت منذ البدء وستبقى الى ما لا نهاية، وان ما تصادفه في رحلتها عبر الاجساد من طواع سعيدة او تعيسة ليست الا ردّات فعل لاعمال سابقة، وبالتالي الانسان يخلق اعماله خلقا واعيا بملء ارادته واعماله وردّات فعلها عبر الزمن تلتحم بجوهر نفسه حتى تذوب الكثرة في الوحدة وتظّل الوحدة الكثرة.

حسام: تريد ان تقول ان النفس الانسانية الفردية خالدة والذي يفنى هو الجسد فقط؟

سليمان: بل اقول ان النفس لا تعرف الفناء ابدا والموت ليس الا انحلال الجسد لتغادره النفس الى جسد جديد يكون قد ولد لتوه فتحل فيه وتمارس وعيها وعملها من خلال خوارجه.

ليلي: كأنك تريد ان تقول ان فكرة الاخلاق لا معنى لها اذا لم تكن النفس خالدة؟

سليمان: هذا شيء بديهي وان كان اكثر الناس قد عميت بصائرهم عن رؤية البديهيات، كيف يكون الانسان اخلاقيا ومسؤولا ولا تعطى له الا فرصة واحدة قوامها سنوات معدودات ثم نجعله ينتظر ملايين السنوات بل بلايينها في فراغ

لاواعي ليأتي يوم يحاسب فيه على اعمال محددة فيحكم له او عليه ثم يسري الحكم الى ما لا نهاية من الزمان علما ان الفرصة القصيرة التي اعطيت له احكامها جبرية فلا هو اختار ابويه ولا بيئته ولا ثقافته ولا مهنته ولا زوجته واولاده حسبما يقال العدل والصواب والصحيح الذي يصح في العقل ان يعطى الانسان فرصا لا متناهية ويتحدد وجوده بين اهل معينين ووطن معين وعمل معين على اساس ردّات فعل لأعماله السابقة في الحيوانات السابقة فيكون هو الذي اختار مواقعه علم بذلك ام لم يعلم. هنا فقط يصبح العمل بعدا اخلاقيا وتبريرا منطقيا والا لغدا الله مشابها لطفل يأكله الضجر يبني بيوته على شاطئ البحر ليتسلى قليلا ثم يعود الى سابق ضجره فيهدم ما بناه ويأتي موج العدم ليسوي كل شيء كما كان وكان لم يكن شيء.

حسام: هذا ما يقوله بعض علماء الفيزياء بأن الكون انفجر صدفة من احد الثقوب السوداء واخذ يتمدد وقد يعود ليتقلص ثانية تحت قوة جذب هائلة فتبتلعه احدى الثقوب السوداء وكان شيئا لم يكن.

ليلي: كأن الحوار يقودنا الى خيارين لا ثالث لهما اما ان يكون الانسان هو جوهر هذا الوجود وكل الموجودات من اكبر مجرة حتى اصغر خلية وجدت لخدمته جسديا ونفسيا، وبالتالي الكون معادلة عقلية منظمة بقوانين دقيقة تحترم هدفا غائيا هو الانسان. واما ان يكون الكون قد وجد صدفة والانسان فيه قد وجد صدفة بدوره وكان من الممكن الا يوجد اصلا، بل كان من الممكن الا يوجد الكون اصلا. وبالتالي لا يوجد اهداف ولا غايات ولا جواهر ولا اعراض.

سليمان: الوجود موجود لاننا نعقل وجوده وبالتالي هو ليس موجودا الا بالنسبة الينا ولذا فنحن وحدنا جوهره وغايته فهو يتحقق بنا وليس بأي شيء آخر.

حسام: هذا الكلام ينطبق ايضا على الله فهو موجود بنا لانه لا يمكن ان يوجد بغيرنا طالما اننا وحدنا الذين نعي بعض وجوده. بعبارة ادق لقد اوجدنا الله ليوجد بنا.

سليمان: هذا هو التعبير الدقيق لقد اوجدنا الله ليوجد بنا.

ليلي: ولكن هذا الكلام يطرح سؤالا خطيرا قبل ان يوجدنا الله ألم يكن موجودا؟

سليمان: القبلية والبعدية مقاييس زمنية والزمن اصلا ليس الا مقدار مقياس الحركة التي هي حركة الارض حول الشمس، المشكلة هي ان عقلنا البشري مبرمج على فكرة الزمن فنحن اولاد الزمن اما الله فالزمن في قبضته وليس هو في قبضة الزمن. معنى ذلك اننا ندرك وجود الله ولكننا ننزله عن احاطة عقولنا بمعنى وجوده.

حسام: ولكن اذا قلنا اننا اولاد الزمان فمعنى ذلك ان عقولنا تحت قبضة الزمان ولا تستطيع ان تنفلت منه باتجاه المطلق. وبما ان الله مطلق وغير محصور في الزمان ينتج عن ذلك اننا غير قادرين على معرفة الله واذا كنا غير قادرين على معرفته فكيف يطلب منا عبادته والعبادة لا تصح الا بالمعرفة.

سليمان: لا شك اننا نملك القدرة على معرفة الله ولولا ذلك لما طولبنا بمعرفته ولكننا لا نملك القدرة على الاحاطة بمعرفته.

ليلي: هذه جدليات لن تسفر ابدا عن نتيجة كان يجب ان تنتهي بانتهاء العصور الوسطى.

سليمان: لماذا لا نقول اننا نسافر في معرفة الله بحركة لا تتوقف ابدا وكلما اكتشفنا قبسا من نور تلك المعرفة لاحت لنا من البعيد اقباس واقباس او نقول نحن نعرف الله على قدر منزلتنا في الله وهذه المنزلة متطورة باستمرار صعودا او هبوطا على قدر هممنا واشواقنا ولهذا ربط المتصوفون معرفة الله بمحبته واعتبروا المعرفة ثمرة للمحبة.

حسام: كلما ازددنا حبا كلما ازددنا معرفة، ما اجمل هذا الاستنتاج.

ليلي: او قل كلما ازددنا معرفة كلما ازددنا حبا فالجاهل لا يعرف الحب ابدا.

صونيا: ولكن بالمحبة الالهية الا نخرج من ازدواجية الجهل والعقل والخير والشر؟

سليمان: لا يمكن برأبي ان يحصل ذلك لان الانسان ركب على مبدأ وحدة وصراع الاضداد والطريق الوحيدة الموصلة الى الله برأبي هي العقل فالله مدينة والعقل بابها.

حسام: وانا اقول الله مدينة والمحبة بابها والمحبة مدينة والجمال بابها والجمال مدينة  
والرغبة بابها والرغبة مدينة والحياة بابها.

ليلى: انها الحياة اذن، فلنبارك رعتها بين اضلعنا.

صونيا: ونحن جميعا ثمرات الحياة.

حسام: بوركت ثمرة اسمها المرأة كم أتلدذ بقضمها فجّة او ناضجة في الحالتين  
رائعة.

ليلى: وبورك الشعراء الذين يعبثون بنظام الحياة ويسمّون هذا العبث خلقا وابداعا.

الجميع: هل هو عبث ام خلق وابداع.. هل هو عبث ام خلق وابداع.

## حوار في العلاقة بين الحرية والاحلاق

شخصيات الحوار

صونيا

سليمان

حسام

ليلى